• الخطوة الأولى
• الدبّ الغريبُ
• النصيحة الأخيرة

ثلاث قصص قصيرة

تأليف : أحـمد الشـيخ
رسوم : الحبـيبة حسـين



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٥

الخطـوة الأولـى

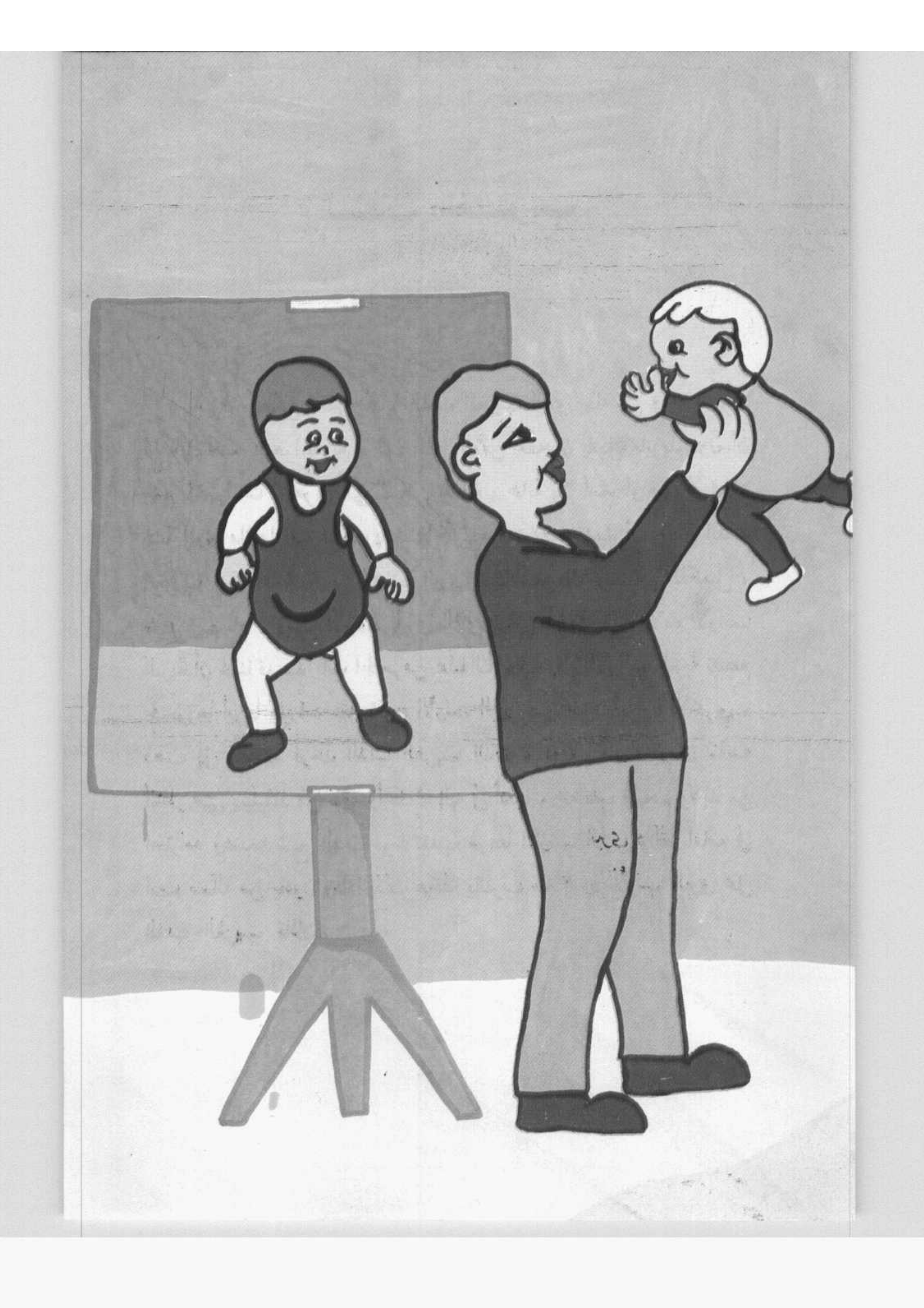
أفكار عديدة كانت تدور فى رأس الرسام الذى يحب الحياة والرسم الجميل ، كان يسأل نفسه : ماذا أرسم ؟

أريد أن أرسم صورة جميلة لها قيمة تعجب الناس ، شجرة ؛ نهر ، سفينة فى وسط بحر ، طائر مهاجر ، كان الرسام يشعر بقلق وحيرة أى الأشياء يختار ، كان يريد أن يرسم شيئا جديدا ، لكنه لم يكن يعرف أى الأشياء يرسم ، خرج من حجرته ونظر حوله ، وجد طفله الصغير يحبو على الأرض ويبتسم له ، وقف يتأمل الطفل الذى كان يحاول وحده دون مساعدة من أحد أن يقف على قدميه مستندا على الجدار ، فكر أن يقترب منه ويساعده على الوقوف لكنه تردد ، قال لنفسه : لماذا لا أتركه يحاول وحده . . لو وقف وحده لاكتسب الثقة فى نفسه ، كان الطفل ينظر إليه ويبتسم ولا يطلب المساعدة ، وبعد عدة محاولات استطاع الطفل أن يقف على قدميه الصغيرتين ، كانت فى عينيه فرحة من نجح فى تحقيق النصر ، كان ينظر ناحية الأب الرسام وبينهما خطوتان ، كان الأب يبتسم للطفل وكأنه يدعوه

لكى يخطو ناحيته معتمدا على نفسه فقط ، وكان الطفل الذى يبتسم هو الآخر ينظر ناحية الأب وكأنه يدعوه لأن يبقى مكانه ، ربما كان يريد منه أن يراه فى لحظة نجاحه فى الوقوف فترة من الزمن أطول من كل المرات السابقة ، وكان الأب الرسام يفكر وهو يبتسم للولد ، ربما كانت فى ابتسامته دعوة له لأن يقترب منه ، لم يمض وقت طويل قبل أن يجرؤ الطفل على أن يخطو ناحية الأب الرسام خطوة صغيرة صغيرة بطول قدمه الصغيرة ، بحذر خطا الطفل خطوته الأولى ، وكانت فرحة الأب كبيرة مثلما كانت فرحة الطفل زائدة لأنه خطا بالفعل أول خطوة فى حياته ، هى خطوة صغيرة صغيرة لكنها خطوة ، وكانت فرحة الأب أكبر من أى فرحة شعر بها فى كل عمره ، وبلهفة حمل الأب الرسام طفله عن الأرض ، احتضنه ولف به عدة لفات حول نفسه وربما كانت ضحكة الطفل الذى انتصر فى حضن الأب الرسام تساوى الدنيا كلها ، وعندما جاءت أم الطفل وشاهدت فى عيونها الفرحة وسمعت الضحكات عرفت كل شىء .. وفرحت هى أيضا لأن الطفل خطا أول خطوة فى عمره .

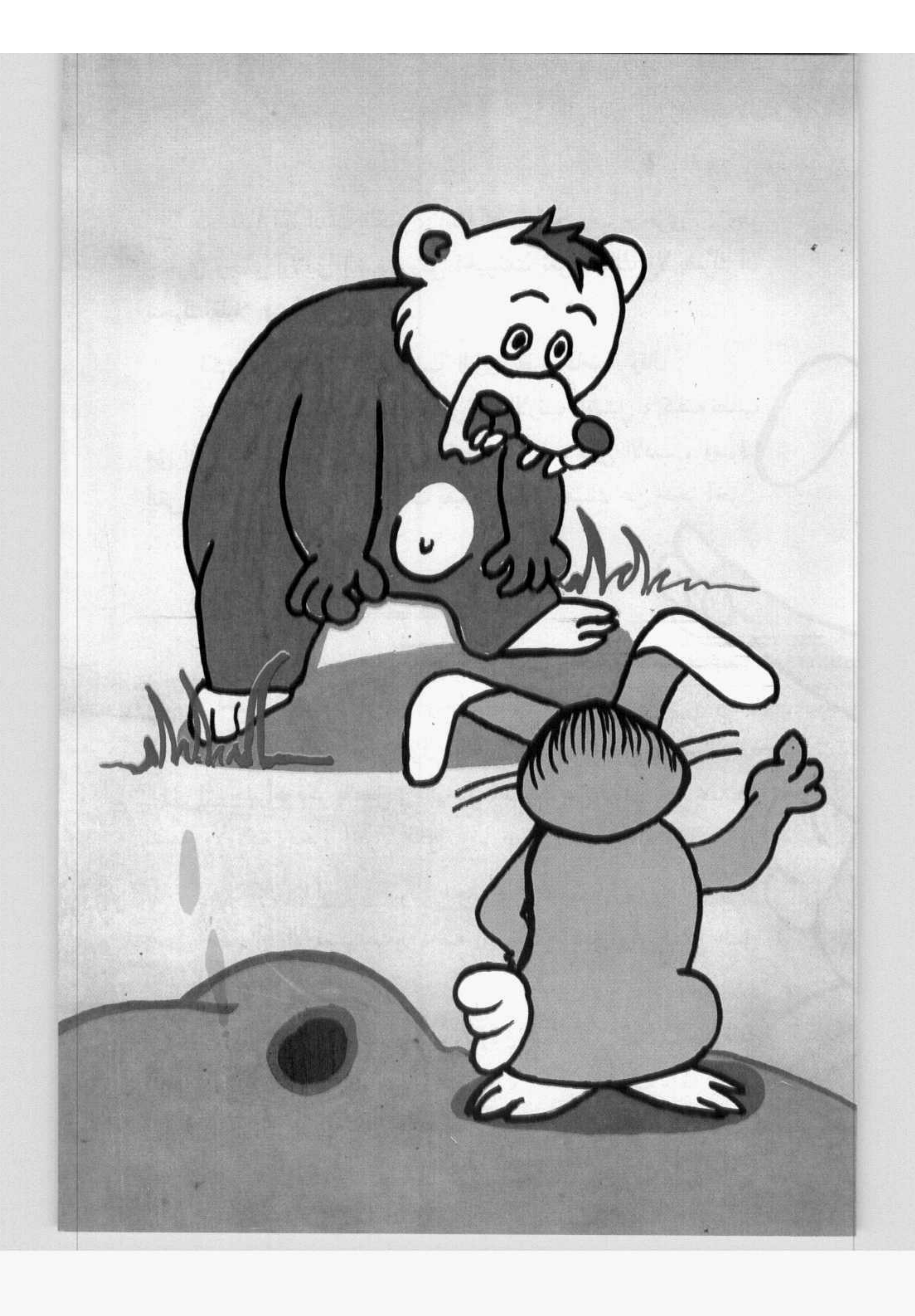
وفى حجرة الرسم جلس الرسام الذى كان حائرا أى الأشياء يرسم ، جلس ليرسم أجمل لوحة فى حياته ، لوحة الطفل الجميل الذى يبتسم وهو يخطو أول خطوة فى حياته .





الـــدب الغـــريب

سوف أحكى لكم حكاية الدب الغريب الذى جاء من وراء النهر ، فرحاناً بنفسه مزهوا بقوته ، كان يظن أن من حقه أن يفعل مايريد دون أن يهتم بالحيوانات الأخرى التى تسكن الغابة ، غابة بلا أسد أو فيل أو نمر ، غابة أقوى مافيها دب غريب يدخلها لأول مرة ، وقد حدث أن جلس الدب الغريب فوق فتحة جحر الأرنب البرى ، كان شبعاناً ومستعدا للكسل ، تثاءب ثم نام ، وفهم الأرنب البرى الذى يسكن الجحر مع أولاده الأرانب البرية أن شيئا قد سد باب الجحرمن هذه الناحية ، ولأن الأرانب البرية تصنع لجحورها أبوابا كثيرة ، فقد خرج الأرنب البرى من أحد الأبواب الأخرى ، ذهب إلى الفتحة فوجد الدب الغريب النائم ، فوقف مترددا وقال لنفسه أنتظر حتى يستيقظ من نومه وأتحدث إليه فى أدب ، إنه دب ضخم ولابد من احترامه وعندما شبع الدب نوما تقلب فوجد الأرنب البرى واقفا أمامه فى أدب فسأله من يكون ولماذا يقف هكذا بالقرب منه ؟ رد الأرنب البرى على الدب الغريب قائلا :



ـ عفوا أيها الدب الكبير ، إنك تجلس فوق باب جحرى . . وهو جحرى وجحر أولادى الصغار وكل الحيوانات تعرف ذلك ولا يضرُّك أن تتحرك قليلا فى أى اتجاه .

لكن الدب نظر إلى الأرنب البرى نظرة غاضبة وقال :

ـ كيف تجرؤ على الوقوف أمامى أيها الأرنب الضئيل ، كيف تطلب منى أن أتحرك من مكانى بهذه اللهجة ، أنت أرنب قليل الأدب ، وسوف أبقى فى مكانى ولن أتركه ، اذهب بعيدا وابحث لنفسك عن جحر آخر .

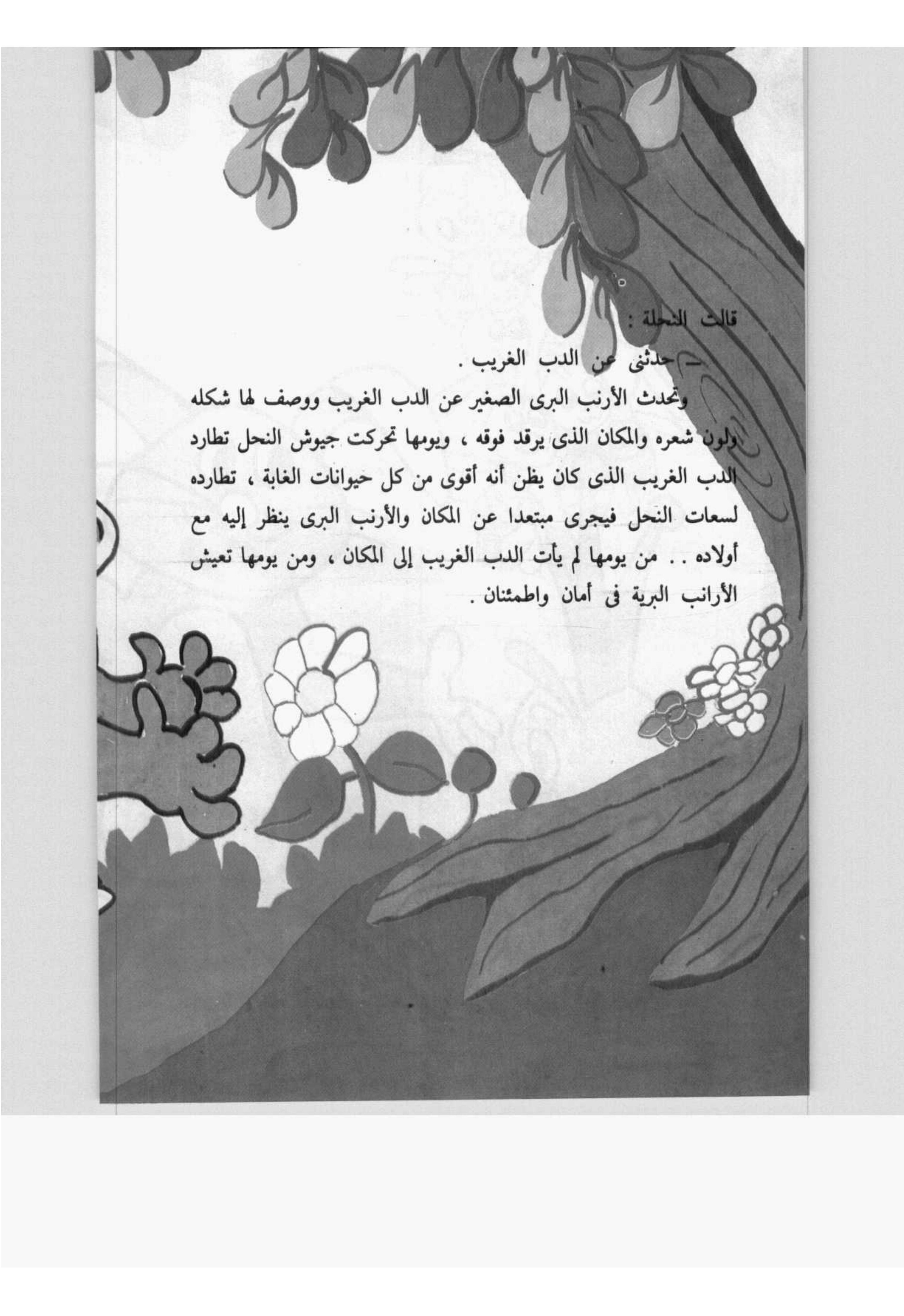
قال الدب الغريب عبارته الأخيرة ثم أغمض عينيه وتظاهر بالرغبة فى النوم ، أحس الأرنب بالحزن ، ودخل جحره من الباب الآخر ، وشكا لأولاده من الدب الذى سكن فوق مدخل الجحر ، ووصل الأمر بالأرنب البرى إلى حد أنه فكر بالفعل فى الرحيل والبحث عن مكان آخر يحفر فيه لنفسه ولأولاده جحرا آخر ، لكن أرنبا صغيرا اقترب منه وقال :

ـ لاتحزن يا أبى . . سوف نجد حلا مناسبا

يحكى أن الأرنب الصغير ذهب إلى ملكة النحل فى الصباح التالى وحدثها قائلا :

ـ أيتها النحلة ، أنت صديقة لنا وتعرفين أننا نسكن الجحر المجاور منذ وقت طويل ، وتعرفين أننا لانعتدى على أحد ، ولا أعتقد وأنت ملكة النحل المهذبة توافقين أن يعتدى علينا غريب ، إنه الدب الغريب . .





قالت النحلة :

– حدثنى عن الدب الغريب .

وتحدث الأرنب البرى الصغير عن الدب الغريب ووصف لها شكله ولون شعره والمكان الذى يرقد فوقه ، ويومها تحركت جيوش النحل تطارد الدب الغريب الذى كان يظن أنه أقوى من كل حيوانات الغابة ، تطارده لسعات النحل فيجرى مبتعدا عن المكان والأرنب البرى ينظر إليه مع أولاده .. من يومها لم يأت الدب الغريب إلى المكان ، ومن يومها تعيش الأرانب البرية فى أمان واطمئنان .

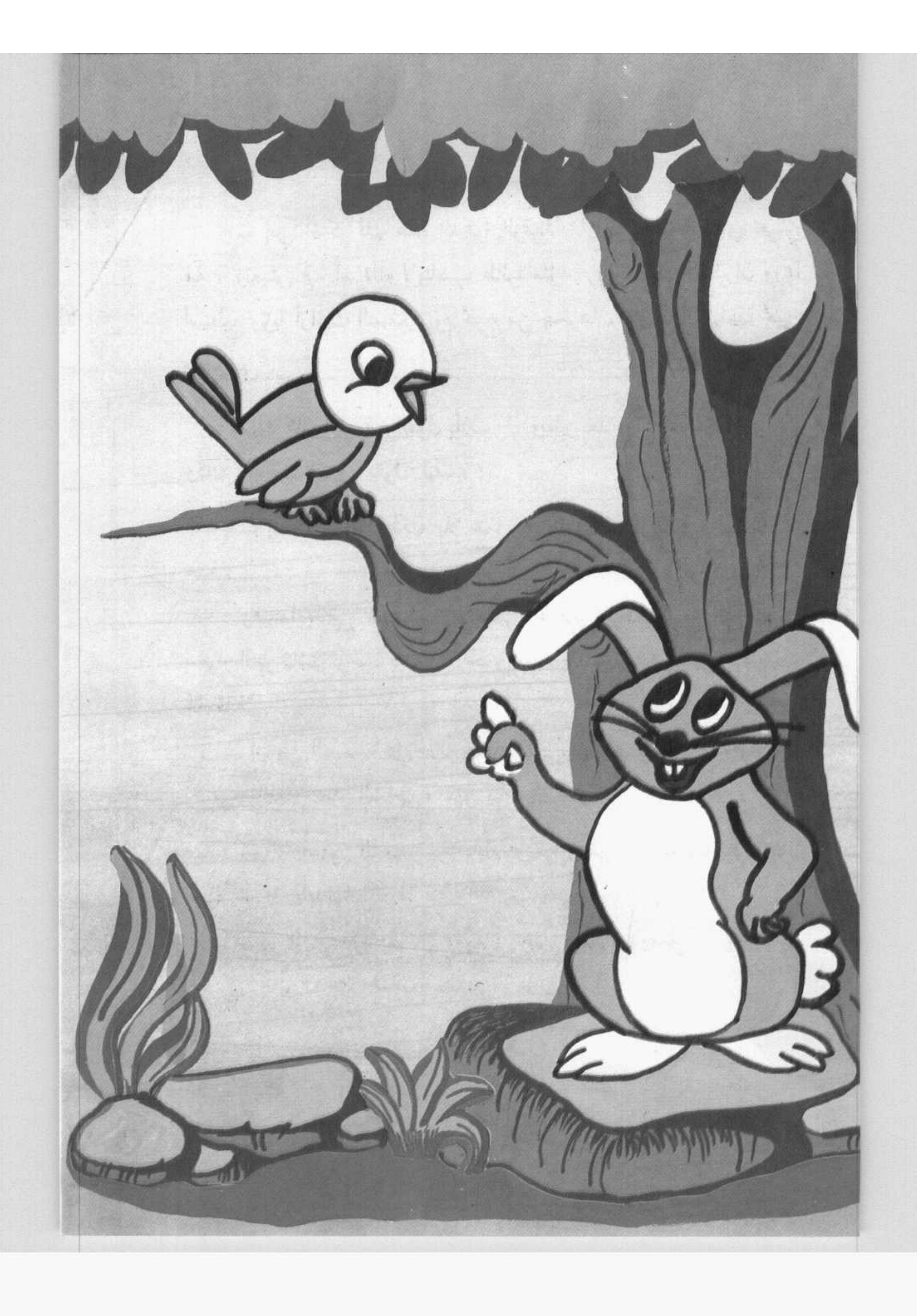


النصيحة الأخيرة

تعلم العصفور الجميل الأخضر كيف يطير . . كان ذلك بمساعدة والديه . . وكانت سعادة العصفور الصغير بقدرته على الطيران كبيرة . . كان عصفوراً مهذباً بشكل ملحوظ ، وكان ريشه الأخضر يتدرج بين الأخضر الغامق والفاتح الذى يقترب من اللون الأصفر . . ولأنه كان عصفوراً مهذباً فإن كل من كان يراه فى الغابة يحب أن يتحدث إليه . . ويقول له كلاماً حلواً عن جماله ورشاقته وخفة حركته . . ولأن العصفور الصغير كان بارعاً فى الطيران . . كان يتنقل بين السهل والجبل . . وكان صديقه الأرنب البرى يسكن الجبل ويراه كل صباح فيسرع مرحباً به ويثب حوله فى إعجاب قائلا :

أيها الطائر الجميل الأخضر . . أنت لاتعرف مدى إعجابى بك . . إن جمالك وخفتك تجعلنى أتمنى أن تشرفنى بزيارة جحرى . . وسوف تتعرف على أبنائى الصغار . . إنهم مجموعة من الأرانب الملونة لكنها مازالت صغيرة ويصعب أن تخرج من جحرها الآن . .

كان العصفور يسمع مثل هذه الدعوة من الأرنب البرى ويرد عليه بكلمات مهذبة كما علمه أبواه ذلك . .



ـ إننى أشكر لك هذه الدعوة الرقيقة .. لكن الجحر الذى تعيش فيه ، وتعيش فيه أسرتك لايناسب طائرا مثلى .. فأنا أحب الطيران وربما أستطيع رؤية أرانبك الصغيرة يوم تخرج من جحرها ، وأرجو أن تبلغها تحيتى واحترامى .

كذلك كان العصفور يقول بأدب .. ويطير بعد وداع الأرنب البرى .. وكان الأرنب البرى يقول لنفسه :

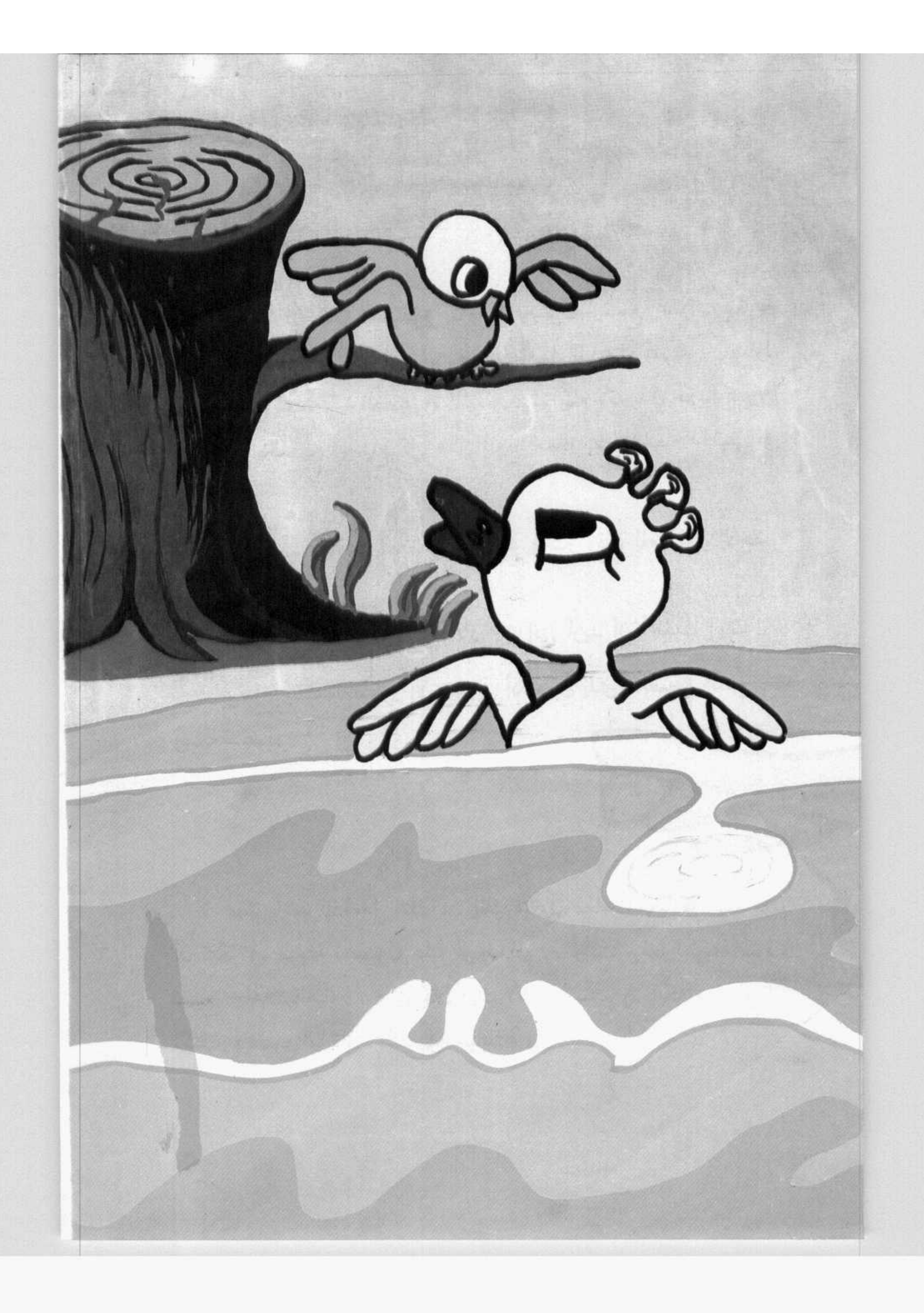
ـ إنه طائر جميل لكنه بلا عمل .. إنه يضيع وقته فى الطيران بلا هدف .

وعندما يلتقى العصفور الأخضر الصغير بالبطة البرية التى تعيش بجوار النهر كانت ترحب به هى الأخرى وتدعوه للسباحة فى النهر لكنه يعتذر لها قائلا :

ـ إن من الصعب على طائر صغير مثلى أن يسبح فى النهر . وأرجو أن نكتفى باللقاء عند الشاطىء فهو يناسبنى أكثر .

كان العصفور الأخضر يرد بلباقة وذكاء ويطير .. وعندما يطير تقول البطة البرية لأبنائها الصغار :

ـ إنه طائر جميل حقاً .. ومهذب حقاً .. لكنه لايعمل .. إنه يضيع وقته فى الطيران بلا هدف ..



هكذا إذن كان العصفور الأخضر يعيش ، يسمع عبارات المديح والإعجاب من كل من يراه . . ثم يعود قبل المساء إلى عش أسرته . . يتناول الطعام الذى أعدته أمه العصفورة الملونة . . ثم ينام لأنه بذل جهداً كبير فى الطيران واللعب . . وسماع كل هذا المديح جعله ينسى واجبه الحقيقى فى الحياة . .

وذات مساء وقف العصفور الأخضر الكبير وقال للعصفور الأخضر الصغير فى غضب .

ــ غير مسموح لك بالنوم الآن . . إننى أريد أن أتحدث إليك . .

وهنا وقف العصفور الأخضر فى أدب بين يدى العصفور الكبير . . وسمعه يقول :

«إننى أشعر بالخجل منك . . إنك تتناول طعامك معنا كل ليلة دون أن تفكر فى طريقة الحصول عليه أو إعداده . . وأنت بهذه الطريقة سوف تصبح جاهلا بالحياة . . وربما كان ذلك لأنك لاتسمع إلا الكلام الحلو . . لكنك لاتسمع مايقال عنك فى غيابك» .



وهنا ظهرت الدهشة على العصفور الصغير الأخضر . . وفهم مايهدف إليه أبوه . . وأحس بالخجل من نفسه وحاول أن يقترب من أبيه ، ولكنه أشاح عنه . . وابتعد إلى فرع شجرة أخرى . . أطرق العصفور عاجزاً عن الرد . . قال الأب :

– إننى لا أقبل أن أسمع عنك أكثر مما سمعت . لقد أصبحت طائراً جميلا قادراً على الطيران والحركة . . ولن أسمح لك بأن تظل عاطلا منذ الآن . . ولذلك يجب أن تدبر أمرك بنفسك . . جرِّب أن تبنى لنفسك عشاً . . أن تحصل على طعامك بالعمل . . ومنذ الآن .

سكت العصفور الكبير . . ثم استدار مبتعدا . . ولو كان نظر فى عينى ولده لرأى دموعه . ذلك أنه شعر بمدى الخطأ الذى وقع فيه . . .

من يومها والعصفور الأخضر الجميل يسعى فى الغابة الواسعة . . مشغولا ببناء عش له ولأخوته . . أو جمع الرزق . . ولم تعد عبارات المديح التى يسمعها تهمه فى شىء : كانت نصيحة الأبَ الأخيرة قد غيَّرت فكرته عن الحياة والمستقبل .



